التحيُّزُ العلميُّ في الغرب في دراسات الجندر
مراجعة نقدية لدراسات الجندر بمقاربة نفس- اجتماعية

■ د. كوثر سويسي

أستاذة باحثة في علم النفس الاجتماعي (تونس)

ملخّص

يحتـاجُ مفهـومُ الجندر إلى الكثـيرِ من المراجعـة، والتدقيق، وبلورة رؤيـة أكثرَ صدقًا وواقعيـة، عن هذا المفهوم، حتَّى لا يذهب بنا بعيدًا في أوهامه العلمية، وهذا ما تهدفُ إليه الدراسـة الحالية، من خلال مراجعة للدراسات النقدية السابقة للجندر. وتستدعي هذه المراجعة سؤال رئيس يدور حول التحيُّز العلمي في دراسات الجندر. تمَّ رصد 27 مقالًا نقديًا من قواعد البيانات الرئيسة؛ باللغة الفرنسية، والإنجليزية، والعربية نشروا في الفترة التي تمتدُّ ما بينَ 2005 - 2023، ثمَّ استخرجت المحاور الأساسية وهي؛ غموض مفهوم الجندر وفلسـفته الفردانيّة، والتحيُّز العلمي في دراسات الجندر، ودحض الهُويّة الجندريّة. وخلصت الدراسة إلى أنَّ غموضَ مفهوم الجندر يعود إلى التحيُّز العلمي في دراسات الجندر، بسـبب حرص الباحثين على تأكيد صحّة نتائجهم (confirmation bias)، ممَّا أدَّى إلى قلب حقائق علميَّة كانت ثابتة، كمفاهيم الصحّة والمرض، الطبيعة والثقافة لتشريع هويّات الجندر، وباتفاق مبالغ فيه بين الباحثين الجندريّين، تحت تأثير تحيُّـزات "الاتّفاق الزائف" والتفرُّد الزائف، الـذي يمكن أن يتحوّل إلى تحيُّز أكبر وهو الجهل التعدّدي".

الكلمات المفتاحية:

الجندر، الشذوذ الجنسي، الدراسات النقدية، الغرب، التحيُّز العلمي، الأخطاء، البحث.

مقدمة:

في السنوات الأخيرة، شهدت الدراسات المتعلقة بقضايا الجندر انتشارًا واسعًا جعل هذه الأخيرة، موضع نقاشات مناصرة من ناحية ومناهضة وساخنة من ناحية موازية. المناصرون يطالبون بتوسيع دراسات الجندر وتعميمها على كل المجالات البحثية لتحقيق مجتمع عادل، وتفكيك الصور النمطية والعلاقة التراتبيّة بين الجنسين، أمَّا المناهضون فإنهم يرون في الجندر "نظرية"[1]، جاءت لتبرير العنف المُسلط على الهوية الإنسانية، وتغيير مُيولها الفطرية، بل "تجسيد لليبرالية جامحة" (فابيان تريكورت، 2019)، تسعى إلى إعادة صياغة التاريخ الإنساني، التعامل معها تصالح وتطبيع مع الحداثة الغربية التي تتبنَّى المطالبة بحقوق حركة الإل جي بي تي ، وتعمل على نشرها وتكريسها في برامج إعلامية ومؤتمرات ووثائق دولية، ومقررات مدرسية تستهدف الأطفال بالدرجة الأولى، وتحثُّهم على اختيار نوعهم الاجتماعي وتوجههم الجنسي. وفي ألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة وكندا، تجد مثل هذه البرامج المؤيدة للجندر والدعم من أعلى المستويات الحكوميّة، وتحصل على تمويلات بحثية، ومشاريع وقوانين لفك القيود، لممارسة التشكيك في الهوية الجنسية الطبيعية بكل حرية وأريحية. هذا ما دفع بالكثير من الدراسات إلى نقد مفهوم الجندر وهو ما يدفعنا أيضًا إلى مراجعة هذه الدراسات للتعرُّف إلى الأخطاء التي كشفتها في دراسات الجندر.

■ مُشكلة الدراسة:

إنَّ الملاحظةَ الميدانية للواقع تشير إلى الكم الهائل من الدراسات الجندرية التي اكتسحت كل الميادين والتخصصات الأكاديمية، وذلك الزخم من البرامج والنشريّات، ونشطاء المجتمع

1 - الكنيسة الكاثوليكية هي المؤسسة الأولى التي تفاعلت أكثر تجاه هذا الموضوع، خصوصًا بعد إدراج الجندر في الكتب المدرسية لعلوم الحياة والأرض، يمكن الرجوع إلى المنشور الصادر عن مجلس العائلة بعد فترة وجيزة من الجدل المدرسي: النوع الاجتماعي ، الجدل (الناشر: بيير تيكي، 2011).

المدني القادمين من كل حدب وصوب للدفاع عن الأقليات، وتمكين المرأة، وحماية الطفولة، وإدخال التربية الجنسية في المدارس، ومحاربة شتى أنواع التمييز والصور النمطية بين الجنسين، شعارات تبدو برّاقة، تستهوي المدافعين عن الفئات المهمّشة والمظلومة، ممَّا دفع بالكثير من الباحثين العرب إلى الانغماس في الدراسات الجندرية، أو النوع الاجتماعي، والسباق نحو عرض سلعته على رفوف المكتبات وفي مواقع البيانات بحثا عن الشهرة، والدعم والتمكين العلمي، كُلٌّ في مجال تخصصه، ومن هنا تأتي الحاجة من وجهة نظرنا إلى التدقيق في فكرة الجندر، والتعرُّف إلى مفاهيمها وخلفياتها النظرية والفلسفية، والتجارب العلمية الأولى التي كان لها تأثيرٌ في توجيه الدراسات الجندرية، عن قرب، من أفواه صانعيها ومنتقديها، كخطوة أولى، نكشف بها الغطاء عن صدق نوايا قضايا الجندر ومشروعيتها العلمية.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتقديم مُلخَّص عام عن الانتقادات العلمية المُوجهة لفكرة الجندر والأخطاء التي سقطت فيها الدراسات الجندرية الأولى ولا تزال. وفي ضوء ما تقدم، يمكننا طرح سؤال رئيس حول حقيقة التحيُّز العلمي في دراسات الجندر، ثمَّ جملة من التساؤلات الفرعية التي ستساعدنا على احتواء الإشكالية العامة للدراسة، وهي كالآتي:

- ما جذور فكرة الجندر وكيف تطورت؟
- كيف ناقشت الدراسات النقدية مفهوم الجندر؟
- ما أهم أنواع التحيّز العلمي التي رصدتها في الدراسات الجندرية الأولى؟ وما انعكاساتها على الحركة الفكرية والثقافية؟
- وهل توجد دراسات علمية جديدة وصادقة تُكذِّب دراسات الجندر؟

دوافع الدراسة:

تسعى هذه المراجعة المنهجية إلى تحليل الدراسات النقدية للجندر للإجابة عن أسئلة الدراسة، ويمكن تلخيصها في 4 أهداف:

- التعرُّف إلى الخلفية الفلسفية لفكرة الجندر
- التدقيق في المعنى الحقيقي لمفهوم الجندر
- رصد الأدلّة التي أثبتت بها الدراسات النقدية التحيّز العلمي في دراسات الجندر

- رصد الأدلّة العلمية التي تقدمها الدراسات النقدية حول هوية الجندر.

سيقودنا تحقيق هذه الأهداف إلى تصحيح فهمنا لفكرة الجندر، وفتح آفاق بحثية جديدة أمام الدراسات النقدية للجندر.

■ مصطلحات الدراسة:

التحيُّز العلمي:

يحصل التحيّز العلمي (scientific bias) حين يخطئ الباحث عن قصد أو عن غير قصد في أي خطوة من خطوات البحث الذي يقوم به، ممّا يُؤدّي إلى عدم الحياد وعدم الموضوعية. وتوجد أنواع عديدة من التحيّزات العلمية، نذكر منها مثلاً؛ تحيّز التصميم: وهو خطأ في تصميم الدراسة، وتحيّز العينة: وهو خطأ في اختيار العينة؛ كأن يكون حجمها صغيراً ولا يسمح بالمقارنات، أو لا تمثل المجتمع، وتحيّز الاختبار: وهو خطأ في اختيار أداة جمع البيانات، وتحيّز الفرضيّة، بسبب قُصر بصر الفرضيّة (Asymmetric attention)، حيث يركز الباحث على جمع الأدلّة التي تدعم فرضيته متجاهلاً الأدلّة التي تعارضها، أيضا تحيُّز الباحث: إذ تؤثر شخصيته ومرجعيّاته الأخلاقية والإيديولوجية وصحته النفسية في سير الدراسة ونتائجها، فيسقط أفكاره المسبقة على النتائج (التحيّز الإيديولوجي)، وتحيّز التأكيد: حيث يميل الباحث إلى التركيز على النتائج التي تؤكد أفكاره المسبقة، حتى وإن كانت ضعيفة وليس لها دلالة إحصائية.

هذا ما سنسعى أن نبينه في الدراسة الحالية؛ برصد التحيّزات والأخطاء العلمية التي وقعت فيها الدراسات الجندرية، والتي قادتها إلى تزييف نتائجها العلمية.

الدراسات الجندرية:

دراسات الجندر، وتُسمَّى أيضًا "دراسات حول الجندر"، وهي مجال بحث أكاديمي جديد نسبيًا ومتعدد التخصصات، ظهر في أمريكا في سبعينيات القرن الماضي بعد موجةٍ من الاحتجاجات الاجتماعية والسياسية والفكرية، هزت جامعات العلوم الإنسانية والاجتماعية، تحت شعار "تفكيك" كان يتردد على أفواه جميع الطلبة في ذلك الوقت، ويدعو الشعار إلى تقويض وإعادة

صياغة كل شيء؛ الحقائق العلمية، التاريخ، اللغة والرموز بل الطبيعة البشرية ذاتها. وأطلق على تلك الفترة ب "نقطة التحول" أو "ما بعد الحداثة". إثرها أصبحت "الدراسات على المرأة"، و "الدراسات النسوية"، و الدراسات على الجندر"، ذات طابع رسمي، وهي مجالات ثلاثة، رغم اختلاف موضوعاتها، لها أهداف مشتركة؛ تفكيك لمختلف أنضمة الهيمنة الذكورية من الثقافة والمعرفة العلمية، والتشكيك في الحتمية البيولوجية التي صُنف على أساسها الرجل والمرأة تصنيفًا تفاضليًا حسب الخصائص الطبيعية والأدوار الاجتماعية. ومن ثم، أصبح الجندر "أداة" في يد هذه الدراسات لتنفيذ مشروعها العلمي والسياسي المتمثل في هدم المسار التاريخي الحقيقي للإنسانية التي اتخذت مشروعيته الفكرية والعلمية والاكاديمية عام 1972 بعد أن نشرت عالمة علم الاجتماع آن أوكلي كتابها "الجنس والجندر والمجتمع" تتحدث فيه عن الفروق بين فئات طبيعية ذكر/ أنثى وفئات ثقافية رجل/ امرأة وبعد مقال آخر تأسيسي لجوان دبليو سكوت حول "الجندر فئة مفيدة للتدليل التاريخي" إذ يؤكد فيه على فائدة استعمال أداة 'الجندر" لدراسة علاقات القوة والصراع بين الجنسين، ونتيجة لذلك أطلق عليها اسم "الدراسات الجندرية. ومن ثم انشأ لها دوريات ومجلات علمية وتخصصات علمية تحولت إلى فرنسا، وإسبانيا، وإيطاليا تركزت بحوثها حول تفكيك الاختلافات الطبيعية بين المرأة والرجل، وعلاقات الهيمنة، والصور النمطية، وهي بحوث تحليلية نقدية حول الإنسان، وتركيبته البيولوجية والعصبية، والوراثية، والحضارية، والثقافية التي تتحكم كلّها في تشكُّل هويته الجندرية وتوجه ميوله الجنسية. ما تختصُّ به الدراسات الجندرية أنها "دائمًا على اتصال وحوار مع نشطاء المجتمع المدني" (Lachenal, 2016). ومن هنا نفهم مدى تأثير التيارات السياسية والإيديولوجية في توجيه قضايا الجندر، وطبيعة النتائج التي يمكن أن تصل إليها البحوث والدراسات في هذا المجال.

الجندر والغرب:

تدعمُ معظمُ الدول الغربية فكرة الجندر، ما عدا روسيا، فالرئيس الروسي لا يتركُ مناسبةً إلاَّ ويذكر بأنَّ "الغربَ يسعون إلى اللعب بهوية الأطفال الجنسية، وأنَّ روسيا لديها نوعان؛ رجل وامرأة، والغرب الفاسد لديه ثمانين نوعًا يريد فرضه علينا". ومنذ عامين، أصبحت معظم الدول الغربية متبنية لموضوع الجندر وتدافع عنه بكل صلابة، وعلى رأسها ألمانيا وفرنسا، فضلاً عن

الولايات المتحدة الأمريكية، وهذه الدول والتي يبلغ عددها حوالي 32 دولة، حول العالم، تمنح الجندريّين حقوقهم وتدافع عنهم، وتبنَّت بعضها قوانين للدفاع عن حقوق المثليين والمتحولين جنسيًا، والغريب في الأمر بأن هذا الدعم لم يأت عليه إلاَّ خمسين عامًا.

■ منهج وأداة الدراسة:

المنهج:

للإجابة عن مختلف مُتطلبات الدراسة اخترنا منهجَ مراجعة الأدبيات الذي سيمكننا من رصد المقالات والدراسات النقدية السابقة حول الجندر. وتمَّ الاعتماد على برنامج زوتيرو، (Zotero) كأداة لحفظ المقالات وترتيبها ليسهلَ بعد ذلك قراءتها وتحليلها واستخراج محاورها.

التصميم:

واتبعنا مجموعةً من المراحل في تصميم الدراسة:

- مرحلة تحديد العنوان والكلمات المفتاحيَّة للدراسة.
- مرحلة البحث في قواعد البيانات المتاحة باعتماد الكلمات المفتاحيّة.
- مرحلة تقييم وتنظيم الدراسات السابقة في قوائم المقالات الرئيسة والإضافية.
- مرحلة تحديد القائمة النهائية بعد تقييمها والتأكد من قيمتها العلمية.
- مرحلة قراءة وتحليل الدراسات السابقة واستخراج المحاور الرئيسة وتبويبها.
- مرحلة كتابة التقرير.

رصد البيانات:

تمَّ رصدُ مجموعة من المقالات العلمية من خمس قواعد بيانات رقمية، باعتماد الكلمات المفتاحيّة الآتية: مفهوم الجندر، نظرية الجندر، النوع الاجتماعي، التحيّز العلمي، المصداقية العلمية، التجارب الأولى، المغالطات العلمية، الغرب، علم النفس، الطب النفسي، الأنثروبولوجيا، علم الاجتماع، البيولوجيا، الفلسفة. وقواعد البيانات هذه هي؛ قاعدة كايرن انفو (Cairn)

قاعدة إلسفير (Elsevier) ، قاعدة سبرينجر (Springer) ، وقاعدة تايلر وفرنسيس (Taylor and Francis)، وقاعدة الجمعية العالمية لعلم النفس (APA). كما حدَّدت تخصصات معينة، وهي على النحو الآتي؛ علم النفس، والطب النفسي، وعلم الاجتماع، والفلسفة، والأنثروبولوجيا، والصحة، والبيولوجيا، والدراسات الجندرية. وحددت الفترة الزمنية التي ظهر فيها المقال بين عام 2000 و 2023. كما تمَّ الاطلاع على مقالات نقدية في مواقع مجلات وصحف إخبارية باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية لإثراء معلوماتنا حول موضوع الدراسة والتعرُّف إلى مواقف وردود أفعال حينية، في سياقات مختلفة، تجاه الجندر، نذكر منها: مجلة لوبوان (Le Point) ومجلة أُبْس (OBS) ومجلة غارديان (The Guardian)، ومجلة أبدو (Hebdo) ومجلة الكتيبة، ومجلة الفيصل.

معايير الإدراج والاستبعاد:

اقتصرت الدراسةُ من الناحية الموضوعية على المقالات العلمية والتقارير الطبية والنفسية، وبعض مقالات العلوم الاجتماعية التي نشرت في قواعد البيانات الرقمية العلمية، تناولت موضوع نقد دراسات الجندر، وتمَّ بعد ذلك فرز المقالات حسب المعايير الآتية:

■■ معايير الإدراج:

- المقالات التي لها صلة مباشرة بموضوع الدراسة وتحتوي على الكلمات المفتاحيّة٠
- المقالات المنشورة باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية٠
- مقالات التخصصات الآتية: علم النفس، والطب النفسي، وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا٠ والفلسفة، والصحة، والبيولوجيا، وعلم الأعصاب، وعلم الوراثة، والدراسات الجندرية٠
- المقالات التي نُشرت ما بين عام 2000 و2023.

■■ معايير الاستبعاد:

- المقالات السياسية ٠
- المقالات البعيدة عن موضوع الدراسة٠
- المقالات المنشورة في مواقع غير معروفة ٠

■ عرض النتائج ومناقشتها:

أ. وصف البيانات وتقييمها

مكنت القراءة الأولى من رصد 60 مقالاً حول التحيّز العلمي في دراسات الجندر، وبعد المزيد من الفحص والتدقيق في المحتوى و وجهة النشر، احتفظنا ب 28 مقالاً علميًا مُفهرسًا ومُحكمًا في مجلات دولية معروفة؛ و10 فصول كتب، نشروا ما بين الفترة 2005-2023 .

ب. محاور المقالات:

تمَّ استخراجُ محاور المقالات حسب أهداف الدراسة الحالية، بعد تبويبها في جداول حسب عنوان الدراسة وتخصصها وتاريخ نشرها ونوع النقاش أو النقد الذي أثارته في دراسات الجندر، وهي أربعة محاور:

- المرجعية الفلسفية لفكرة الجندر.
- غموض مفهوم الجندر.
- التحيُّز العلمي في دراسات الجندر وتزييف النتائج.
- أدلة علمية جديدة عن الهوية الجندرية.

المحور ١ - المرجعية الفلسفية لفكرة الجندر:التنظير للهوية الفردانية:

بدأت فكرةُ الجندر من الفلسفة الوجودية المُلحدة التي أسَّسها الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر (1905-1980) وروّجت لها رفيقة دربه سيمون دي بوفوار (1908-1986)، ووصلت إلى أوج ازدهارها في بداية القرن العشرين. والوجودية الملحدة اتجاه فكري يغالي في قيمة الإنسان، ويبالغ في التأكيد على تفرُّده، إنه هو من يصنع نفسه وماهيته، شيئًا فشيئًا من خلال تجاربه الشخصية وقراراته، وقدراته الذاتية، التي يكتشف من خلالها قيم ومعاني الحياة، كما قال سارتر "أنا موجود فأنا أفكر" على عكس مقولة ديكارت. ورغم أنها فلسفة تلغي القيود على التفكير والعقل والمسؤولية، والأخلاق إلاَّ أنها تلقي على عاتق الإنسان مسؤولية أن يكون سيد

نفسه، وتشترط في ذلك أن يتمتعَ بالحرية الكاملة في اختيار ما ستكون عليه ماهيته"(محمد, 2020)،ومن ثم فإنها تسقطه في دوامة الوحدة والاغتراب، والعبث واللامعنى واللامعيارية في أثناء رحلة بحثه عن ذاته ومعنى الوجود الخاص به، وكلها عوامل يمكن أن تفتك بهوية الإنسان وانتمائه إلى مجموعة تراقبه وتضبط قيمه. هذه الفلسفة أطلقت العنان للشهوات والغرائز البهيمية الذي عاشه ويعيشه حتى اليوم المجتمع الأوروبي"(فيـاض، 2021) وقبل أن نجدَ لها تعريفًا متفقًا عليه، أو مُنظرًا يُعرِّف نفسه بأنه فيلسوف، فهي الوجود والتفرُّد، والانغلاق وكسر القيود مع القيم الجماعية والوعي الجمعي، لذلك صنفت بفلسفة الغموض والإباحية.

لاحظَ سارت ذات يوم، أنّنا نقوم بتعريف العالم الذي يحيط بنا، بما فيه من أشياء وأشخاص، وفقًا لتمثلاتنا وطريقة إدراكنا له. أخذت دي بوفوار هذه الفخكرة وطبّقتها على تمثل الرجال للنساء، وأصدرت في هذا الصدد كتابها "الجنس الثاني" (1949)، الذي كان عبارة عن نصٍّ تأسيسيٍّ للحركة النسويّة في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي. جاء في هذا الكتاب :"إنَّ مفهومَ المرأة هو مفهوم ذكوريّ. المرأة دائمًا هي "الآخر" إنَّها هي الموضوع وما يجب أن تكون عليه المرأة يتمُّ تخمينه من قبل الرجال. أي أنَّ الرجلَ أساسٌ جوهريٌّ في صياغة الذات الأنثويّة بكاملها" (Shaheen, 2019)، وبذلك طرحت دي بوفوار أول نظرية فلسفية حول الجندر بقولتها الشهيرة: "المرأة لا تولد امرأة، بل تصبح امرأة" (الجنس الآخر، 1949) بمعنى أنَّ المجتمعَ هو الذي يصنع شخصيتها وصفاتها الأنثوية، وليس الطبيعة أو البيولوجيا.

لا يفوتنا أن نذكرَ الحوارات التي دارت بين جان بول سارتر وسكريتيره ليفي يون؛ والتي نُشرت تحت عنوان: " الأمل الآن" (L'espoir maintenant) عام 1980، وفيها تصريح سارتر بالرجوع عن نظرته الأولى للمسألة اليهودية واعتناقه الميسيانية اليهودية (Coorebyter, 2004)، وأثارت تصريحاته جدلاً كبيرًا في أوساط المفكرين والمثقفين في ذلك العصر إلى اليوم. لكن ما لا يمكن التشكيك فيه، تعاطف جون بول سارتر ورفيقته سيمون دي بوفوار المتكرر مع إسرائيل، حيث وقّع الثنائي قبل شهر من حرب 1967 بيانًا ضمن 66 مثقفًا فرنسيًا، دعا فيه الجمهور الفرنسي إلى دعم إسرائيل باعتبارها الدولة الوحيدة التي يجري تهديدها من القادة العرب" (Mardam-Bey, 2009)، وهو ما أدَّى إلى تراجع الفلسفية الوجودية، خاصة في أوساط المثقفين

العرب الذين رأوا تناقضًا هائلاً وازدواجية سياسية في مواقف سارتر. وفي عام 1976، أربعة أعوام قبل موته، قبل سارتر تكريماً وحيداً في حياته وهو الدكتوراه الفخرية من جامعة أورشاليم العبرية وقد تلقَّاها من سفارة إسرائيل بفرنسا "(Mardam-Bey, 2009)، وكان قد رفض قبلها جائزة نوبل للسلام.

حياة سارتر ودي بوفوار كانت مليئة بالصخب والمغامرات والانحراف الأخلاقي، دي بوفوار كانت امرأة غلمانية، بشهادة العديد من الكُتَّاب المُعاصرين، وكلَّفها ذلك سحب رخصتها التدريسية مدى الحياة (9منن." ففي عام 2008، تحدثت البريطانية كارول سيمور جونز، مؤلفة كتاب "العلاقة الخطيرة" (A dangerous liaison) عن سلوك دي بوفوار المُنحرف وغير الأخلاقي، واصفة إياها ب "المعتدية على الطفولة" أو الغلمانية. وفي عام 2015، تحدثت ماري جو بونيه في كتابها :"سيمون دي بوفوار والنساء" عن "العَقْدُ الشاذّ" الذي كان يربط بين دي بوفوار وسارتر" (La Presse, 2019).

رغم كل ذلك، وجدت أفكار سارتر ودي بوفوار الآذان الصاغية لدى فئة الشباب وكذلك الحركات النسويّة، الذين أثرت تأثيراً كبيراً وواسعاً في تلك الفترة، تحوّلت بعدها إلى قوانين وإجراءات وشعارات يسارية متطرفة، ثم تواصلت بعد ذلك في الحركات النسويّة العالمية ومنظمات المجتمع المدني في أمريكا أولاً ثم بقية دول العالم أدَّت إلى تفكيك الهيمنة الذكورية وقلب موازين القيم الاجتماعية.

المحور ٢ - غموض مصطلح الجندر:

ناقشت جلُّ الدراسات التي تم مراجعتها، مصطلح الجندر، واعتبرته من المصطلحات الفضفاضة والغامضة والمظللة، إذ تعددت تعريفاته واختلفت، من لغة إلى أخرى، من ثقافة إلى أخرى، ومن تخصص إلى آخر، ولم يحض هذا المصطلح إلى اليوم، رغم مضي حوالي 70 سنة على ظهوره، بتعريف دقيق وجامع له،كما هو الشأن بالنسبة إلى الجنس البيولوجي الذي تحدده عوامل طبيعية مثل؛ التركيبة الفسيولوجية والبيولوجية للإنسان وبالتحديد الكرموسومات والهرمونات (Mayer et McHugh, 2016) باتفاق كل الناس مهما كانت ثقافاتهم.

أ. مشكلة الترجمة:

على مستوى أصل المصطلح، عرف مفهوم الجندر العديد من الاشتقاقات والتقلُّبات اللغوية، بسبب تنقُّله وترحاله عبر القارات والثقافات، وما صاحبه من ترجمات وجدال حول الاختلاف بين الجنسين. ويعودُ أصل المصطلح إلى كلمة لاتينية (Genus) بمعني "العرق، العائلة والوطن"، وكلمة فرنسية قديمة (Genre) وهي لا تعني شيئًا غير الفئات النحوية، تقابلها لفظة (Gender) باللغة الإنجليزية التي تعني "النوع الاجتماعي، أو الدور الاجتماعي، أو الصفات الاجتماعية، والنفسية، والثقافية والسلوكية التي تميز الرجل عن المرأة" (لااشونال، 2016).

في اللغة الفرنسية، وُجدت صعوبة في ترجمة مصطلح الجندر(gender)، ولم يُقْبَل كمرادف لمصطلح (genre). ووصفه بعض المحافظون والنشطاء الكاثوليك في فرنسا بالمصطلح الدخيل "لا علاقة له بالفروق بين الجنسين". وأُقحم الكتّاب والباحثون في جدال حول هذا التقسيم العشوائي بين الجنس والجندر، كما عبَّرت عن ذلك الكاتبة كولات شيلاند (Colette Chiland) في عام 1994، حين أشارت إلى أنَّ التمييزَ الذي قام به الطبيب النفسي جون موني بين الجنس والجندر سيحملنا إلى الغموض، وعدم القدرة على تحديد الهوية الجنسية الطبيعية، كما اتهم بعض الأكاديميين الفرنسيين هذا المصطلح بعدم الحياد في دراسته للفروق بين الجنسين (Marchand, 2011, p.1)، رغم أنه لقي حاضنة في السنوات الماضية، لدى فئة أخرى من الأكاديميين، تبنته بحذر، وأوجدت له تعريفًا مؤقتًا على أن يتواصلَ التفكيرُ لحسم أمر ترجمته.

تجدر الإشارة، إلى أنَّ الجندر ليس له وجود عربي كمصطلح. وقد سعى بعضهم لطرح صيغة عربيّة للمصطلح مشتقّة من جذور اللغة العربيّة، وهي: «الجنوسة» على وزن الأنوثة والذكورة. كما تستخدم أحيانًا عبارة "النوع الاجتماعي"، بينما لقي المصطلح الإنجلوسكسوني أكثر رواجًا في كثير من بلدان العالم العربيّ. أمَّا عن زمن ظهور المصطلح لأول مرة في العالم العربي، كان في وثيقة مؤتمر القاهرة للسكان 1994. ثم أُثير مرة ثانية في مؤتمر بكين للمرأة عام 1995 وقد شاع استخدام هذا المصطلح في المؤتمرات الدولية وتمَّت ترجمته إلى اللغة العربية.

أمَّا في اللغة الإنجليزية والعالم الانجلوسكسوني، ذكر المصطلح في العديد من المرات في

المؤتمرات دون تعريف وتحت ضغط الدول، تم تشكيل فرق عمل للتعريف به، لكن خرجت لجنة التعريف بعدم تعريف المصطلح. ثم ظهر بعد ذلك في وثائق الأمم المتحدة الدولية: بمفهوم محدد يعني" الفروق بين الرجل والمرأة الحاصلة من الدور الاجتماعي المنوط بهما، والمنظور الثقافي والوظيفة لكلٍّ منهما، وهذه الفروق هي نِتاج لعوامل دِينيَّة وثقافيَّة، وسياسية واجتماعية" (الرفاعي, 2017). ومع بروز تيارات الحداثة والدراسات النسويّة والجندرية، شاع مفهوم الجندر وانتشر في كل الأوساط الأكاديمية والتخصصات البحثية، وصاحبه مجموعة أخرى من التنظيرات الاصطلاحية، ظلَّت مُتضاربة في معظم الأحيان.

ب. مشكلة التعريف:

تُعرِّفُ حركةُ النسويّة العربية الجندر على أن: "النوع الاجتماعي (الجندر): يتعلقُ بالأدوار المحدَّدة اجتماعيًّا لكلٍّ من الذكر والأنثى، وهذه الأدوار تُكتسب بالتعليم وتتغيَّر مع مرور الزمن، وتختلف اختلافًا واسعًا داخلَ الثقافة الواحدة، ومِن ثقافة إلى أخرى، وهذا المصطلح يشيرُ إلى الأدوار والمسؤوليات التي يُحدِّدها المجتمع للمرأة والرجل، وهو يعني أيضًا: الصورة التي ينظر بها المجتمعُ إلى المرأة والرجل، وهذا ليس له عَلاقة بالاختلافات الجسديَّة (البيولوجية والجنسية)" (الصفحة الرئيسة الخاصة بموقع الحركة النسويّة العربية، 2022).

وتُعرِّفه الجمعية الأمريكية لعلم النفس APA ب "الأدوار والسلوك والأنشطة والصفات التي يعدُّها مجتمع ما مناسبة للفتيان والرجال أو للفتيات والنساء والتي هي مكتسبة اجتماعيًا وتؤثر في سلوك الأفراد وردود أفعالهم، وعلى تفاعلهم وشعورهم تجاه أنفسهم، وإذا كانت جوانب الجنس البيولوجي متشابهة لدى الثقافات المختلفة، فقد تختلف أوجه الجندر بالأدوار المبنية اجتماعيا والسلوك والأنشطة والصفات التي يعدُّها مجتمع ما مناسبة للرجال والنساء، أي أن" الفروق بين الرجل والمرأة الحاصلة من الاختلافات بين المجتمعات والدور الاجتماعي المنوط بهما هي نِتاج لعوامل دِينيَّة وثقافيَّة، وسياسية واجتماعية؛ صَنَعها البشر عبرَ تاريخهم الطويل، ويمكن للفرد أن يُغيرها متى شاء حسب السياق والحاجة النفسية أو الاجتماعية دون أن يكون للمجتمع الحق في رفضه" (Mayer et McHugh, 2016, p. 75).

◂ مقابلة بين الفرد والمجتمع في المجتمعات الغربية:

توجدُ في التعريفات الغربية مقابلة بين الفرد والمجتمع في تعريف أدوار الجندر مع التأكيد على أمرين؛ الأول: العوامل التي تؤثر في هذه الأدوار، وهي الثقافة، والمجتمع والدين والسياسة، الثاني: حرية الفرد في تغيير جندره، باعتباره شخصية مستقلة، أن يغيرها (العوامل المؤثرة)، متى شاء حسب السياق والحاجة النفسية أو الاجتماعية دون أن يكون للمجتمع الحق في رفضه.

ت. قلب مفهومي الطبيعة والثقافة:

◂ الجندر ثقافي ومكتسب: (فرضية نصبح هكذا)

رغم تنوُّعها واختلافها، تتفق كل التعريفات السابقة على فكرة واحدة؛ وهي أنَّ الجندر صفة مكتسبة، منفصلة عن الجنس البيولوجي، تحددها وتتحكم بها الأعراف الاجتماعية، التي تختلف باختلاف الثقافات، وتؤثر في الطريقة التي يشعر بها الفرد بنفسه وعلى سلوكه، وعلى كيفية تفاعله مع الآخرين. وهي بذلك، تقرُّ بأنه لا يمكن تحديد الجندر بيولوجيًا، وهذه أولى الحجج التي تثبت أن الجندر ثقافة العصر الحالي، وهي ثقافة الفردانية والانسلاخ عن جماعة الانتماء، ثقافة تفرض نوعًا آخر من التنشئة الاجتماعية، لتقوية الفرد، وفك ارتباطه بالمجتمع، وتغيير الأدوار التقليدية في الأسرة، والإطاحة بها، كما أشارت إلى ذلك عالمة الإنثروبولوجيا غايل روبن، "الجندر هو تقسيم للجنسين مفروض اجتماعيًا، وهو حصيلة العلاقات الاجتماعية المتعلقة بالغريزة الجنسية." وإن لم نتعرض لما فرض علينا اجتماعيًا لبقينا ذكورًا وإناثًا وليس رجالاً ونساءً" (1975) وتضيف الباحثة غايل "إذا تمَّ بناء أدوار الجندر التقليدية اجتماعيًا يمكن أيضًا تفكيكها ويمكننا القضاء على "الغرائز الجنسية الإلزامية والأدوار الجنسية" وإنشاء "مجتمع خنثوي ومن دون جندر (ولكن ليس من دون جنس)، حيث تكون التركيبة البنيوية الجنسية لأي شخص منفصلة عن هويته الشخصية" (Mayer et McHugh, 2016, p. 75). وتؤكد هذه الفكرة صاحبة النظرية النسويّة المؤثرة جوديث باتلر في كتابيها "مشاكل الجندر: النسويّة وتقويض الهوية" (1990) و"تفكيك الجندر" (2004)، أي تحدثت باتلر عن "نظرية الأدائية التي تقول بأن: تحديد الإنسان كامرأة أو كرجل لا يتعلق بكينونة الشخص لكن بأفعاله" وأنَّ الجندر ليس نتيجة

سببية للجنس، ولا لما يتم إثباته ظاهرياً كجنس"، على حد تعبيرها. ولكن الجندر هوية تم بناؤها اجتماعيًا وهي مستقلة عن الهوية البيولوجية، والصفات الجسدية، "هي حيلة غامضة السبب، ينتج عنها أن الرجل أو الذكر يمكن أن يتماثل بكل سهولة مع جسد الأنثى رغم أن له جسد ذكر، كما يمكن للمرأة أو الأنثى أن تتماثل بسهولة مع جسد الذكر رغم أن لها جسد أنثى."(Mayer et McHugh, 2016, p. 76).

◂ الجنس والجندر:

م\ان أولى الدراسات الأكاديمية التي استعملت مصطلح الجندر، وميَّزت بينه وبين الجنس، وأكَّدت على أنه مكتسب، دراسة عالم النفس وعالم الجنس الأمريكي جون موني (Money, 1955) حول اضطراب النمو الجنسي لدى الأطفال ذوي الأعضاء التناسلية المبهمة (1972) (الذين لم يتمكن الأطباء من تحديد جنسهم البيولوجي)، وقتها لاحظ موني، أن غالبية الأطفال يتماثلون مع الجنس الذي حدده لهم أولياؤهم منذ الولادة (مارشان, 2011)، وأوصلته تخميناته إلى وجود فرق بين الجنس البيولوجي والجندر الذي عرَّفه آنذاك ب"الجنس النفس اجتماعي". وبذلك يكون أول من وضع حدًا بين الجنس البيولوجي والجندر(Fassin, 2008, p. 375)، وأول من قال بإمكانية تغيير الجندر بالتنشئة الاجتماعية والعلاجات الطبية الجراحية والهرمونية. لكن الدكتور موني لم ينتبه إلى أمر؛ اضطراب النمو الجنسي كان يصيب الإناث أكثر من الذكور،وحدد لهم أولياؤهم جنس الأنثى، لذلك هم يتماثلون في أغلب الحالات مع جندر الأنثى، وبذلك يكون موني قد أقام دراساته على فرضيات غير علمية لأنه لم يستند إلى علم الوراثة أو البيولوجيا، ولكن على قدرة الجراحة في ذلك الوقت على معالجة الأطفال الذين يعانون من اضطراب النمو الجنسي (Mayer et McHugh, 2016).

◂ الهوية الجندرية:

بقيت المقاربة الثقافية طاغية على الجندر، رغم أن مصطلح الجندر انتقل إلى مصطلح الهوية الجندرية (بمعنى الهوية الجنسية الاجتماعية)، مع الطبيب والمحلل النفسي روبرت ستولر (1964)، صديق موني، في دراساته حول تأثير الأعضاء التناسلية الملتبسة على الهوية الاجتماعية،

وكذلك التحول الجنسي واضطرابات هوية الجندر لدى الأطفال والراشدين، ومكَّنته مقاربته التحليلية من التمييز بين الجنس البيولوجي وهوية الجندر وعرّفها بالهوية الجنسية التي تتكون اجتماعيًا تحت تأثير عدة عوامل أهمها نوعية علاقة الطفل بأمه وأبيه منذ الأشهر الأولى من ولادته ،يقول في هذا الإطار "إنَّ جوانبَ الهوية الجنسية والتي نسميها بال"gender"تحددها الثقافة في المقام الأول، مما يعني أنها تُكتسب بعد الولادة، في حين أن الخصائص التي تميّز الذكر عن الأنثى هي خصائص تشريحية وجسدية". وهذا منعطف آخر عرفه مصطلح الجندر في علم النفس التحليلي.إذ بعد أعمال ستولر، أصبحت الفروق بين الجنس والجندر أكثر التباسًا لدى الكثير من الباحثين في علم النفس والتحليل النفسي، إلى اليوم، رغم محاولات لاكان (Lacan) لتوضيحها، لأن كل مصطلحات وتنظيرات الهوية الجندرية بالمعني الذي يقصده ستولر، تتعارض مع نظرية فرويد القائمة أساسًا على النمو النفسي الجنسي، والتي على أساسها تتكون سمات شخصية الإنسان وهويته الجنسية (Freud's psychosexual theory of development) .

وورث التيار النسوي مفهوم الجندر بكل تناقضاته والتباساته، من النظريات النفسية والتحليل النفسي، للاحتجاج على التمييز بين الرجل والمرأة المعتمد على الخصائص النفسية والجسدية بين الجنسين الذي "يفرض أنماطًا وقوالب جامدة على الهوية الجنسية"(Vaulx, 2021). وتفكيك الهيمنة الذكورية من الثقافة والمعرفة العلمية.

■ الجندر طبيعي وبيواوجي (نولد هكذا):

إذا كان الجندر لا يتعلق بكينونة الشخص البيولوجية، ولكن بأدواره الاجتماعية التي ينشأ عليها منذ الصغر، كيف نُفسر ما ذهبت إليه بعض التجارب الجندرية الأخرى على التوائم وعلى الأطفال الذين يعانون من اضطراب في النمو الجنسي، والمتحولون جنسيًا، في مجال الطب النفسي، وعلم الوراثة السلوكي، والبيولوجيا، وعلم الأعصاب؟ في محاولاته التفسير المثلية الجنسية بحتمية بيولوجية، أي بأسباب جينية،وبيولوجية وهرمونية وخصوصًا باستعدادات عصبية. من بين هذه الدراسات، نذكر دراسة ميلتون ديامون (1965)، المعارضة لتجارب جون موني، والتي رفضت بشدة فرضية تأثير التربية والثقافة على هوية الجندر، لتأكيد فطرية الهوية الجندرية والميل الجنسي ،وتأثرهما بعوامل بيولوجية حتمية كالميراث البيولوجي والهرمونات وخصائص الدماغ،

الجندر "ليس هوية نفس اجتماعية ولكن بيولوجية"(Marchand, 2011, p. 44)"نولد بها هكذ". ولتفسيرِ ذلك، أشارَ ديامان (1965)، إلى أنَّ "الطفلَ يولد بهويتين: هوية جنسية باطنية وهوية جندرية ظاهرية؛ يعيش بهما معًا ويمكن أن تَطغى واحدة على الأخرى، إذ تتكون الأولى في مرحلة ما قبل الولادة وتتأثر بالنمط الجيني والخاصيات الوراثية والهرمونية، وتتشكل الثانية حسب نظرة الطفل لذاته الظاهرية تحت تأثير التربية والثقافة والبيئة التي نشأ فيها (مارشان،2011، ص.5)، هذا يعني حسب ديامان أن الطفل يولد باستعدادات بيولوجية تحدد ميله الجنسي، وبذلك أعطى ديامان تبريراً علمياً بيولوجياً للمثلية الجنسية. كما أكدت دراسة أخرى تفسير ديامان، وهي للطبيب النفسي جوزيف كالمان (1952)، مشيرة إلى أن تأثير الجينات على السمات، بما في ذلك الميل الجنسي، يكاد يكون حتمياً، بنسبة توافق مذهلة تبلغ 100 في المائة في عينة جميع أزواج التوائم المتطابقة التي شكَّلت موضوع دراسته؛ فإذا كان أحدهما مثلي الجنس، يكون الآخر مثليًا أيضًا. هذه الدراسات استبدلت المفهوم النفس اجتماعي للجندر بمفهوم بيولوجي، أي إن الهوية الجندرية الجنسية وراثية تتحدد بعوامل جينية، وبيولوجية وهرمونية وهو منعطف آخر يتناقض فيه مفهوم الجندر مع نفسه.

ناقشت دراسة فرغني (2007) ودراسة بوميي (2020)، ودراسة شيلاند (2008)، وأيضًا كتاب سو (2022) تقلبات مفهوم الجندر، وكيف أضاع في خضم تحولاته مفهوم الجنس البيولوجي، ووضع مكانه مفاهيم جندرية أخرى غريبة ومتعددة؛ في شكل هوية جنسية اجتماعية، أو جنسية يمكن أن تتغير في أيِّ وقتٍ، حسب الأهواء والميول، متى شاء الشخص (Frignet, 2007, p. 24) كيف يمكن أن تؤثر كل هذه الهويات في تَشكل شخصية الطفل فتضعه في حيرة من أمره (Chiland, 2008). وتحدَّث بوباتي (2016)، في هذا الاطار، عن الصراع بين الأطباء النفسيين والمتحولين بخصوص معالجة مشكلة المتحولين جنسيًا، وكيف يمكن أن تكون العلاج؟ هل على مستوى تغيير الأفكار والتنشئة؟ أم على مستوى التدخل الطبي والجراحة وحقن الهرمونات؟ وهي من القضايا الجندرية الجديدة (Beaubatie, 2016).

إذاً، لم تستطع كل التعريفات أو المقاربات أن تتفقَ على مفهوم واحد لتعريف الجندر،أو تفسير واحد للفروق بين الجنسين، أوبين الجنس والجندر، أو بين هوية الجنس والهوية الجنسية لفهم طبيعة الجندر؛ هل هو مكتسب أم طبيعي؟ هل تحدده الثقافة والمجتمع أم عوامل جينية،

بيولوجية، هرمونية، وعصبية؟ فكانت كل واحدة تنفي الأخرى، وبقيت كل واحدة تدور بمفردها في فراغ مجهول، لأنها تبحث في قضايا فطرية وبديهيات وحقائق راسخة ومستمرة لا تحتاج إلى المناقشة والتصحيح. فالهوية الجندرية لا يمكن أن تتكون بلا هوية جنسية (Rosenberg, 2017, p. 125)، أيضًا لا يمكن دراستها من خلال أشخاص يعانون من اضطرابات في نموهم الجنسي، أو بالشواذ، أو بالمتحوّلين جنسيّا، وهم فئات تعاني من اضطرابات نفسية وعقلية، واجتماعية،وفسيولوجية. كما أن الجنس البيولوجي لا يمكن محوه بجنس آخر وهمي حسب الأهواء والرغبات أو تغييره بالجراحة والهرمونات، رغم أن الجراحون اليوم، أصبحوا أكثر قدرةً وكفاءةً، وبقيت هذه العمليات بلا جدوى، ولم تغير الجنس البيولوجي ولم تُمكن من تحقيق الدور الإنجابي للجنس الذي تم التحول إليه. كما أن الجنس البيولوجي لا يمكن تغييره عن طريق التكيف والتنشئة الاجتماعية (Mayer et McHugh, 2016, p. 79).

يبدو أنَّ مرونةَ هوية الجندر محدودةٌ "(Mayer et McHugh, 2016, p. 79) كما أكَّدَ ذلك الدكتور ماير وماكهيو، وهو ما ينفي كل التجارب الطبية والنفسية والتحاليل الأنثروبولوجية التي دخلت في صراع فرضية أن الهوية الجندرية فطرية أو مكتسبة طبيًا أو اجتماعيًا، فآلت كلها إلى الفشل.

المحور٣ - التحيُّز العلمي في دراسات الجندر:

أ. تحيُّز الباحث:

◄ قلب مفهومي الصحة والمرض:

تشيرُ دراسة ماسي(Macé, 2010) ودراسة جاك دريشر وآخرون (2016) إلى مدى تأثير التحيُّزُ العلميُّ في مسار الدراسات الجندرية وكيف قامت بقلب حقيقة علمية كانت ثابتةً حتى العام 1953 في الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات العقلية (DSM)المنشور عن الجمعية الأمريكية للأطباء النفسيين (APA)، مثل مفهومي الصحة والمرض، ومفادها أنَّ الشَّاذَ جنسيًّا يُعاني مرضًا عقليًا ويجب أن يخضع إلى علاج. رغم أنَّ فرويد لم يجزم بالحالة الصحية للشواذ وعدَّ"المثلية

شكلاً من أشكال عدم النضج النفسي وهي نوع من التوقف في التطور" (Drescher & Sebag, 2017, p. 32)، وفسَّرها بمجوعةٍ من العوامل كالحرمان الجنسيّ، أو الرغبات الجنسيّة المثليّة المكبوتة والمسقطة والشّعور بالإثم، تُدخل الفرد في حالة من "البارانويا" والهذيان، وهي وسيلة دفاعية للتصدي للرغبات الجنسية المثلية المكبوتة. ورغم المحلل النفسي ساندور رادو (1940) (Sandor Rado) قطع نهائيًا مع تردد فرويد مؤكدًا أنَّ المثليةَ انحرافٌ في السلوك الجنسي، ومع ذلك؛ حُذف هذا التّصنيف. وأصبح الشاذ جنسيًا يُنظر إليه على أنه سليم مُعافى. فكما نعلم إنّ الأمراض النفسية المسجّلة في (DSM)؛ تحتاج إلى علاجٍ دوائيٍّ دائمٍ يلازمه علاجٌ نفسيٌّ. فما السبب لحذف هذا المرض من (DSM)؟ وما الحجج التي قدمت لإيقاف العلاج الدّوائي والمتابعة النّفسيّة؟

بيَّنت دراسة مورين (2014) ودراسة ماسي (2010) أسباب انقلاب مفهومي الصحة والمرض بخصوص المثلية على النحو الآتي: لم يحدث ذلك نتيجة للأبحاث العلمية المؤكدة، ولكن لضغوط سياسية ولوبيات مثلية كانت تجري في الكواليس في الجمعية الأمريكية للطب النفسي. بعد حادثة غرين ويتش بمدينة نيويورك انطلقت أول مسيرة لمجتمع لي جي بي تي عام 1970وألغت الاجتماع السنوي للجمعية الأمريكية في ذلك العام والعام التالي 1971 للتأثير عليها حتى استجابت لمطالبهم وقبلت أن يحضرَ اجتماعاتها نشطاء مثليين ليُدلوا بشهادتهم أمام أطباء النفس عن التمييز والعنف الذي يتعرضون له بسبب الدليل التشخيصي (Macé, 2010, p. 504). وفي عام 1973، اختفى التشخيص المرضي للمثلية، وبدأت الاتجاهات والتمثلات الاجتماعية تتغير تجاه هذه الفئة(Morin, 2014, p. 9).

قبل ذلك بنحو60 عامًا، كان مجموعة من الأطباء المثليين، أبرزهم طبيب الغدد الصماء ماغنيوس هيرشفالد (1910) وتلميذه هاري بنياميين (1914)، يعملون على إثبات أن المثلية الجنسية ليست مرضًا أو اضطرابًا نفسيًا وإنما شكَّل ثالث من أشكال الجنسية مثلها مثل الذكورة والأنوثة (Macé, 2010, p. 501). كما فسَّر هاري بنيامين المثلية على أنها غير مرتبطة بالنمو النفسي بل بالتطور الجنيني، حيث تؤثر أنماط هرمونية في الدماغ وهي أصل الاختلافات في التوجه الجنسي"مع أساس عضوي". واتفق هو وتلميذه مع مجموعة من الأطباء المثليين مثلهم، جراحون ومختصون في الغدد الصماء، على أن يكون العلاج على الجسم وجراحة الأعضاء وليس على مستوى التنشئة

الاجتماعية، فإذا لم تكن لهم القدرة على تغيير الجنس البيولوجي فإنهم سيعملون على إيجاد توافق بين الميول الجنسية الشاذة والجنس البيولوجي لتقليل المعاناة النفسية التي يشكو منها مرضاهم الوافدون عليهم بأفواج هائلة وبشكل جنوني من أجل إجراء عمليات جراحية تحول أجسادهم إلى شكل يستجيب لميولاتهم (Macé, 2010, p. 501).

ومن المفارقات العجيبة، أن يأتي تأييد ثانٍ من أطباء وعلماء نفسيين على الرغم من معارضتهم في البداية لنظريات بنيامين فيما يتعلق بأسباب التحول الجنسي، لكنهم اتفقوا معه فيما يتعلق بشرعية العلاجات الهرمونية الجراحية (Castel، 2003; دريشر ، 2009).

انطلاقًا ممَّا طُرح؛و يتبيّن أنّ هوية الباحث وأخلاقه لها تأثير كبير على نتائج الدراسة التي يقوم بها، تحت ضغط من"اللّوبي المثليّ"، على المجتمع العلمي، قلبت المفاهيم العلمية فأصبحت المثلية سلوك سوي ممَّا أدَّى إلى تهاون في علاج هؤلاء النّاس وازدياد أعدادهم. إزاء هذه الظّاهرة المرضيّة تقف المجتمعات الغربيّة عاجزةٌ؛ فالقوانين تُسنُّ الآن لشرعنتها في المحافل المجتمعيّة كافّةً بالتّواطؤ مع الجهات الرّسميّة والقياديّة والعلميّة؛ ضاربةً عرض حائط الصيرورة التّاريخيّة لنظام الأسرة الذي سوف ينهار ويتلاشى. فالغرب اليوم يصنع تابوته بيديه.

ب. تحيّز التأكيد

◂ تجربة ألفراد تشارلز كينزي Alfred Kinsey

تحدثت دراسة شابرون وتقرير جمعية تجريم البيدوفيلي تحت إشراف فرنسوا وديبال (Debelle, François, 2020) عن التجاوزات العلمية والأخلاقية في دراسة ألفريد كينزي، وهو عالم حيوان أمريكي اهتم بحياة الدبابير قبل أن يهتم بالحياة الجنسية لدى البشر، ومؤسس معهد أبحاث الجنس في جامعة إنديانا ببلومنغتون (Indiana university) عام (1947)، أين أشرف على دراسة مع فريق عمله، حول الحياة الجنسية لدى الأمريكيين، بتمويل من مؤسسة روكفلر (Rockefeller) ونشر نتائجها في كتابين، اشتهرا بتقارير كينزي؛ الأول كان عن سلوك الجنس لدى ذكر الإنسان (نشر عام 1948) والثاني عن السلوك الجنسي لدى أنثى الإنسان (نشر عام 1953)م. أدهشت نتائج هذه التقارير المجتمع الأمريكي آنذاك ثم ترجمت إلى 13 لغة، وحقق الكتابان مبيعات ضخمة،

وأصبح كينزي من المشاهير.

ناقشت مقررات كينزي قضايا الجنس في المجتمع الأمريكي، نذكر منها مايأتي: 46% من الرجال الأمريكيين لهم ميل جنسي لأشخاص من الجنسين، و37 % لهم على الأقل تجربة جنسية مثلية واحدة في حياتهم، و50% من المتزوجين الرجال قاموا بعلاقات جنسية خارج نطاق الزواج. ونسبة أخرى من الرجال لها ممارسات جنسية ماسوشية وسادية (sadomasochisme)، ممَّا أثار نسبةً عاليةً من الجدل سواء في عامة الناس أو في المجتمع العلمي الذي انتقد بشدة تقارير كينزي.

ومن أكثر الأمور الصادمة في دراسته التي وثقها في أكثر كتبه شهرةً، فهي جدول هزات الجماع لدى أطفال قصر، بعضهم لم يتجاوز 3 أشهر من عمره، كما هو مبين في الجدول الآتي:

عمر الطفل	عدد هزات الجماع المسجلة	مدة الاختبار
5 شهور	3	؟
11 شهراً	10	ساعة
11 شهراً	14	38 دقيقة
11 شهراً	7	9 دقائق
سنتان	11	65 دقيقة
سنتان	4	دقيقتان
سنتان	6	5 دقائق
سنتان	17	10 ساعات
4 سنوات	26	24 ساعة
4 سنوات	7	3 ساعات
4 سنوات	8	ساعتان
7 سنوات	7	68 دقيقة

عمر الطفل	عدد هزات الجماع المسجلة	مدة الاختبار
8 سنوات	9	52 دقيقة
9 سنوات	14	24 ساعة
10 سنوات	11	ساعة
10 سنوات	19	ساعة
11 سنة	7	3 ساعات
11 سنة	3	3 دقائق
12 سنة	9	ساعتان
12 سنة	12	ساعتان
12 سنة	15	ساعة
12 سنة	7	24 دقيقة
12 سنة	8	24 ساعة
13 سنة	9	8 ساعات
13 سنة	3	70 ثانية
13 سنة	11	8 ساعات
13 سنة	26	24 ساعة
13 سنة	11	4 ساعات

وانتهى كينزي في دراسته بتوصيات أن الأمريكيين يفضلون ممارسة الجنس مع الأطفال

القصر وبذلك فتح الباب أمام البيد وفيلي وإباحة الحياة الجنسية لدى الأطفال القصر، قام بتفعيل هذا العمل المشين في شكل دراسة علمية مزيفة أوهمت الناس بأنها نتائج صحيحة وموضوعية(Chaperon, 2002).

هل يمكن لعينة من الأطفال الرضع أن تشارك في دراسة؟ حول الميل الجنسي؟ أثارت هذه النتائج جدلاً في الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي، واستمرت إلى اليوم وتركت أعماله تأثيراً كبيراً في القيم الاجتماعية والثقافية في الولايات المتحدة وكذلك على المستوى الدولي.

ت. تأثير "تحيُّز التأكيد" على مبادئ أخلاقيات البحث العلمي في دراسة كينزي:

تحت تأثير تحيُّز التأكيد استعمل كينزي كل الطرق حتى يصل إلى النتائج التي ترضيه، وتؤكد قناعاته، لذلك انتهك كل مبادئ أخلاقيات البحث العلمي:

- تمَّ انتهاك مبدأ صدق ونزاهة البحث: انتقد الإحصائي جون توكي (1954) منهجية كينزي وطريقة المقابلات التي جمع بها البيانات، والإحصائيات التي حلل بها النتائج (Debelle, 2020) لأن المقابلات كانت بالأساس مع رجال شواذ قابلهم كنزي في السجون الأمريكية، وعرفوا باغتصاب الأطفال.كما استنكر عالم النفس أبراهام ماسلو تمثيلية عينات دراسة كينزي (Chaperon, 2002)، التي وصلت إلى 17500 وكان اغلبهم من الطبقة الوسطى والبيضاء والحضرية والمتعلمة وليسوا كاثوليك أو يهود.
- تمَّ انتهاكُ مبدأ الموافقة المستنيرة: طريقة المقابلة نفسها ليست موثوقة لأنها أُجريت مع متطوعين، يعني أنهم أقل خجلاً، وأكثر انفتاحاً، وربما يرغبون في المبالغة في الحديث عن ممارساتهم الجنسية المنحرفة أو لا يقولون الحقيقة. وبالتالي فإن هذا الجانب يُعدُّ "تحيّزاً" ويُؤكد عدم تمثيلية العينات (Chaperon, 2002). "حتى وإن كان حجم العينة كبيراً والنتائج مُدعَّمة إحصائيًا، تبقى دراسة كينزي مُتحيّزة ولا تعكس حقيقة الواقع الأمريكي في ذلك الوقت".
- تمَّ انتهاكُ مبدأ لا ضرر ولا ضرار :إذ ألحق جميع أنواع الضرر وإلى الحد الأقصى على عينة الأطفال الذين أجرى عليهم تجاربه.

■ تجربة جون موني:

تحدثت دراسة مارشان (2011) ودراسة فاسين (2008) عن تجربة عالم النفس النيوزلندي جون موني المتخصص في اضطرابات النمو الجنسي لدى الأطفال (1952) في مستشفى جونز هوبكنز، وبالتحديد في قسم علم الغدد للأطفال. قام عام 1965 بتجربة ليثبت أن التنشئة الاجتماعية، وليس الطبيعة، هي التي تحدد الهوية الجنسية والتوجه الجنسي للإنسان. وبذلك يكون أول من وضع فلسفة دي بوفوار في التجربة.

وكان المشارك هو طفل توأم يُسمَّى ديفيد رايمر ويبلغ من العمر 22 شهرًا، تعرَّض لفقدان عضوه الذكري خلال عملية ختان أُجريت له عام 1966. وفي التجربة، خضع الطفل لعملية جراحية لإعادة تحديد جنسه، حيث تمَّت إزالة خصيتيه جراحياً. وأقنع الأبوين بأن تغيير جنس الطفل بروس هو الحل ليكون اسمه بريندا، ويبدأ سلسلة علاجات هرمونية حوّلت حياة الصبي إلى جحيم، فنما له ثديان وحدث ضمور تدريجي في العضو الذكري، إلَّا أنه في سنِّ البلوغ، أصبح صوته أجش تمامًا وبرزت له العضلات، وحتى سلوكه لم يتغير مُطلقًا عن أيِّ صبي على الرغم من محاولات والديه إقناعه بأنه أنثى وعدم إخباره بالحقيقة إلَّا بشكل متأخر تمامًا وعند بلوغه عامه الرابع عشر. ولم يكتف جون موني بهذه التغيرات الطبية، ولكن كان يُجري تجارب جنسية على الطفلين التوأمين ويقوم هو بتصويرهم، وكان يُروِّج للأمر على أنه مسرحية أو بروفا جنسية للطفولة من أجل هوية جنسية صحية لدى البالغين. كانت نتائج تجارب موني مُريعة بشتى الطُرق، إذ إن الطفل بروس الذي حوّله لأنثى خضع بعد ذلك لعدة عمليات لمحاولة العودة كذكر من جديد وغيّر اسمه إلى ديفيد إلَّا أنَّهُ يبدو أنه فشل بشدة لينتحرَ في عمره الـ38 بعد عدة محاولات سابقة باءت جميعها بالفشل، أمَّا شقيقه رايان فقد أُصيب بالفصام وأصبح يعاني من اضطرابات جنسية متنوعة قبل أن ينتحر هو الآخر.

■ تأثير "تحيّز التأكيد" على مبادئ أخلاقيات البحث العلمي في دراسة موني:

◄ تمَّ انتهاك مبدأ "أخلاقيات المهنة": صنفت لجنة أخلاقيات أبحاث علم النفس تجربة "دايفيد ريمر" بغير الأخلاقية.

- تم انتهاك مبدأ "لا ضرر ولا ضرار": لم تمتثل تجربة موني لمبدأ "لا ضرر ولا ضرار"، لأن ديفيد رايمر عانى من ضرر نفسي خطير انتحر بسببه في سنٍّ 38 عامًا. بالإضافة إلى ذلك، أضرت التجربة بأسرته بشكل غير مباشر: كانت والدته تفكر في الانتحار، وكان والده مُدمنًا على الكحول، وانتحر شقيقه التوأم، الذي كان يعاني من اكتئاب شديد، بعد انتهاء التجربة.
- تم انتهاك مبدأ "المشاركة التطوعية": لم يتطوع ديفيد رايمر في الدراسة، وكان والداه مرعوبين بالقدرنفسه من اقتراح تغيير الجنس، لكنهما وافقا في النهاية، ولم يطلعوا على نوايا الدكتور موني.
- تمَّ استخدام الطفل ديفيد لإثبات "نظريته والتي تنصُّ على أنه يمكن تغيير الجنس من خلال التربية والتنشئة الاجتماعية.
- تمَّ انتهاكُ مبدأ "الموافقة المستنيرة" حيث لم يتم إبلاغ والدي "ديفد" بشكل صحيح على التجربة. ولم يتم إخبارهم بما كان يحدث خلال اجتماعات التوأمين مع دكتور موني.
- تمَّ انتهاكُ مبدأ "التقارير الدقيقة" حيث كتب الدكتور موني تقريرًا عن دراسته وادَّعى أنَّ التجربة حقَّقت نجاحًا كبيرًا وأنَّ نظريته مدعومةٌ، وهو ما يتناقض بشكل كبير مع البيانات الواردة في التقارير السابقة، إذ قام دكتور موني بتزوير نتائج التجربة.
- تمَّ انتهاكُ مبدأ الواجب المهني": من الواضح أنَّ عائلة رايمر كانت تعاني من مشاكل نفسية كبيرة، لكن الدكتور موني رغم أنه معالج نفسي لم يقم بدوره.
- تم انتهاك "حقوق الانسحاب" : إذ أُجبر ديفيد وشقيقه التوأم بريان على السفر إلى بالتيمور لعقد اجتماعات سنوية مع دكتور موني حتى رفضوا (ليس لأن لديهم الحق في الانسحاب، ولكن لأنهم كانوا خائفين جدًا من رؤيته (Soh, 2020).

المحور ٤ - أدلة علمية جديدة تُفسِّر الهوية الجندرية وتدحض كُلَّ الفرضيات:

وردَ في تقرير أشرف على إعداده الدكتور والطبيب النفسي بول مك هيو والطبيب الجراح لورنس س. ماير تحت عنوان :"الغريزة الجنسية والجندر" (2016) مراجعة دقيقة لمجموعة من الأبحاث في العلوم البيولوجية والنفسية والاجتماعية حول الجندر والميل الجنسي أثبتت أن:

■ **الهوية الجندرية هوية معتلة ومريضة**:

"إنّ الشّباب من مجتمع (LGBT) (المثليّات والمثليّين وثنائيّي الجنس)، هم أكثر عرضةً للاكتئاب مقارنةً مع الشّباب متباييني الجنس. كذلك؛ هم أكثر عرضةً لمحاولات الانتحار والتّفكير به، وهم أيضًا أكثر عرضة للعنف والتّحرّش والتّشرّد. كما أنّ الأفراد من (LGBT)، في أوائل مرحلة الرّشد أو منتصفها هم أكثر عرضةً لاضطرابات المزاج والقلق والاكتئاب والتّفكير بالانتحار ومحاولات الانتحار"(Mayer et McHugh, 2016, p. 56).

■ **الهوية الجندرية غير مدعومة بأدلة علمية بيولوجية وعصبية أو جراحية**:

◄ "إن فرضية أنَّ الهويةَ الجندرية عبارةٌ عن سمة فطرية وثابتة للإنسان مستقلة عن الجنس البيولوجي، أي أنَّ الشخصَ قد يكون "رجُلا محتجز في جسم امرأة" أو "امرأة محتجزة في جسم رجل"، ليست مدعومة بأدلة علمية.

◄ وفقا لتقديرات صدرت مؤخرا، يتطابق حوالي 0.6 في المائة من الراشدين في الولايات المتحدة مع جندر لا يتوافق مع جنسهم البيولوجي، وهي نسبة ضعيفة جدا.

◄ أظهرت دراساتٌ قارنت بين هيكلية دماغ مغايري الهوية الجندرية ودماغ غير مغايري الهوية الجندرية علاقة ضعيفة بين هيكلية الدماغ و التطابق مع الجندر الآخر. وهذه العلاقة لا تقدم أي دليل على وجود أساس عصبي حيوي للتطابق مع الجندر الآخر.

◄ بيَّنت المقارنات مع مجموع السكان في أمريكا، أنَّ الأشخاصَ الذين خضعوا لجراحة إعادة تحديد الجنس هم أكثر عرضة لاضطرابات نفسية وعقلية. إذ وجدت إحدى الدراسات أن الأشخاص الذين قاموا بإعادة تحديد جنسهم، مقارنة مع الذين يكبحون أنفسهم، كانوا أكثر عرضة لمحاولة الانتحار بحوالي 5 مرات، وأكثر عرضة للموت بـالانتحار 19 مرة.

◄ يُشّكلُ الأطفالُ حالةً خاصةً في معالجة قضايا مغايري الهوية الجندرية. فأقليةٌ من الأطفال فقط يستمرون في التطابق مع الجندر الآخر ويتغير كل شيء ويعودون إلى هويتهم الطبيعية في سنِّ المراهقة والرشد.

◄ لا توجدُ أدلةٌ علميةٌ كثيرة حول القيمة العلاجية للتدخلات الطبية التي تؤخر سنَّ البلوغ أو تُعدل خصائص الجنس الثانوية للمراهقين.

◄ لا وجودٌ لأيِّ دليلٍ على أنه يجب تشجيع جميع الأطفال الذين يكشفون عن أفكار أو سلوك جندري على أن يصبحوا من مغايري الهوية الجندرية"(Mayer et McHugh, 2016, p. 7).

خاتمة وخلاصة:

هدفت الدراسةُ الحاليةُ إلى مراجعة الدراسات النقدية للجندر للوصول إلى أدلة علمية عن التحيّز العلمي في هذه الدراسات، ولتحقيق أهداف الدراسة تم مراجعة 27 مقال علمي تم رصدهم من قواعد البيانات العلمية المتاحة، وأفضى التحليل إلى رصد 5 محاور:

بين المحور الأول: المرجعية الفكرية لمفهوم الجندر، وهي الفلسفة الوجودية المُلحدة التي أسَّسها الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر وروّجت لها سيمون دي بوفوار، وهي فلسفة تُكرّس الفردية وتنبذ القيم والأخلاق الاجتماعية، انطلقت شعلتها الأولى من خلال قولة دي بوفوار الشهيرة "المرأة لا تولد امرأة ولكن المجتمع من يجعلها هكذا بصفاتها المعروفة من رغبة بالأمومة ورعاية للأطفال". وتحدثت العديد من الكتاب عن ازدواج شخصية هذا الثنائي "سارترودي بوفوار"، على المستوى الفكري والأخلاقي والسياسي،وقد أصابهم بالخيبة وخاصةً مثقفي ذلك العصر. فالمهد الفلسفي من أهم المراحل التي تتكون خلالها الأفكار والنظريات العلمية، فإذا فسد الأصل مال الفرع.

كما تبين في المحور الثاني كيف ناقشت جلَّ الدراسات النقدية، مصطلح الجندر، واعتبرته من المصطلحات الفضفاضة والغامضة والمظللة، إذ تعددت تعريفاته واختلفت ترجماته، من لغة إلى أخرى، من ثقافة إلى أخرى، ومن تخصص إلى آخر، ولم يحض هذا المصطلح إلى اليوم، رغم مضي حوالي 70 سنة على ظهوره، بتعريف دقيق وجامع له، كما هو الشأن بالنسبة إلى الجنس البيولوجي الذي تُحدده عوامل طبيعية مثل؛ التركيبة الفسيولوجية والبيولوجية للإنسانوبالتحديد الكرموسومات والهرمونات (Mayer et McHugh, 2016) باتفاق الجميع. إذ أكَّد التعريفُ العربي على الدور الاجتماعي والصور النمطية لتحديد الفروق بين الجنسين؛ المرأة والرجل، ذلك لأنها مجتمعات جماعية (collectivist societies)، تُكرِّسُ القيمَ والروابط الاجتماعية وتتحاكم فيما بينها بالتصنيفات الاجتماعية، وما الصور النمطية إلاَّ أسماء وأوصاف لنعت كل صنف؛ فحين يوصف الرجل بالرجولة والمرأة بالعفة يصبح الاقتداء والتماثل بهما سهلاً على

الفرد، لأن الصور النمطية ليس كلها سيء ومشين. بينما قامت التعريفات الغربية على إثارة فكرة الصراع بين الفرد والمجتمع، والضغط على الفرد لممارسة حريته في تغيير "جندره" متى شاء، حسب السياق والحاجة النفسية، أو الاجتماعية، دون أن يكون للمجتمع الحق في رفض رغباته أو منعه، فهي مجتمعات فردية (individualistic societies)، قطعت شوطًا هائلاً في مسار الحرية الفردية بدعم الحركات الليبرالية والفردية التي تناضل من أجل تحرير الفرد والدفاع عن مصالحه، فوق اعتبارات كُل أنواع السلطة (الدولة والمجتمع والدين). كما أثارت هوية الجندر صراعًا بين من يقول بأنها مُكتسبة ومن يقول بأنها طبيعية، بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبية والبيولوجية، رغم أن الاتجاهين شرّعوا للمثلية الجنسية والتحول الجنسي، كل حسب حججه وتجاربه ونظرياته. لكن بقيت محاولات تعريف وفهم مصطلح الجندر عاجزة عن تقديم مفهوم واحد شامل للفروق بين الجنسين، فكانت كل واحدة تنفي الأخرى، وبقيت كل واحدة تدور بمفردها في فراغ مجهول، لأنها تبحث في قضايا فطرية وبديهيات وحقائق راسخة ومستمرة لا تحتاج إلى المناقشة والتصحيح.

في المحور الثالث، بيَّنت المراجعة للأدبيات النقدية حجم التحيّزات العلمية (confirmation bias)، الموجودة في دراسات الجندر، وتعلق أغلبها بتحيّز الباحث وتحيّز التأكيد (bias confirmation)، وتعود هذه التحيّزات والأخطاء، إلى ميل الباحثين الجندريين الأوائل إلى تأكيد أفكارهم وقناعاتهم وقدكلَّفهم هذا الأمر ما كلفهم، دون اعتبار لمبادئ أخلاقيات البحث العلمي(Larivée et al., 2019)، بدءًا بماغنوس (Magnus) وتلميذه بنيامين (Benjamin) ثم جون موني (Money) وكنزي (Kensey) وتجاربه الجنسية الشنيعة على الأطفال الرضع، وهم كلهم كانوا مثليين، وأثّر تحيّزهم بصورة مهولة على كيفية تصميم تجاربهم وعلى النتائج، فتمَّ انتهاك مبدأ صدق ونزاهة البحث: لأنَّ المقابلات كانت بالأساس مع رجال شواذ قابلهم كنزي في السجون الأمريكية، وعرفوا باغتصاب الأطفال، ومبدأ الموافقة المستنيرة ومبدأ لا ضرر ولا ضرار. قلبت حقيقة علمية كانت ثابتةً حتى العام 1953 في الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات العقلية (DSM) المنشور عن الجمعية الأمريكية للأطباء النفسيين (APA)، مثل مفهومي الصحة والمرض، ومفادها أنَّ الشاذ جنسيًا يعاني مرضًا عقليًا ويجب أن يخضعَ إلى علاج، لكن بسبب ضغط اللوبي المثلي على الجمعية الأمريكية للطب النفسي حذف التصنيف المرضي للشواذ،

وأُدمجوا مع الأسوياء.

ويمكن تجميع التحيّزات العلمية التي زيفت الدراسات الجندرية في فئتين: تحيّز "الاتفاق الزائف"(false consensus bias (Lee Ross et al, 1977 وتحيّز "التفرد الزائف" (false uniqueness)، يجعل التحيّز الأول مجموعة من الناس يبالغون في تقدير مدى اتفاق الآخرين معهم من حيث آرائهم، ومعتقداتهم، وقيمهم وخصائصهم وخبراتهم وسلوكهم (Verlhiac, 2000). هذا يعني أن تأثير الاتفاق الزائف يقود الناس إلى افتراض أن الآخرين يشبهونهم أكثر ممَّا هم عليه في الواقع. مثلاً؛ عندما يعتقد شخصٌ ما اعتقادًا راسخًا أنَّ شذوذه الجنسي سلوك سليم، بسبب تأثير الاتفاق الزائف (تحيّز الإسقاط)، فإنه سيعتقد أن سلوكه الشاذ سائد بين الناس وسيعمل على تأكيده بكل الحجج العقلية. رغم أن الواقع هو عكس ذلك. حسب علماء النفس الاجتماعيين، هذا النوع من التحيّز المعرفي هو عملية تفكير غير واعية يختصُّ بها الإنسان العادي وليس المُفكر والعالم. ومن أسباب تحيّز الاتفاق الزائف نذكر؛ ميل مجموعة ما إلى التفكير في آرائهم وتجاربهم وسلوكهم أكثر من التفكير في آراء الآخرين، أو تفضيل آراء جماعة الانتماء أكثر من آراء الجماعات الأخرى ممَّا قد يؤدي بهم إلى إسقاط وجهات نظرهم وخبراتهم وأحكامهم المسبقة على الآخرين. فهم يدخرون الجهد ويعتمدون بدرجة أكثر على المعلومات التي يسهل عليهم تذكرها في تقييم آراء وأفكار الآخرين وهذا يمكن أن يشوه نظرتهم إلى الواقع، أيضًا رغبة بعض المجموعات إلى الشعور بالرضا عن أنفسهم وزيادة احترام الناس لهم، بسبب الأحكام السلبية الموجهة إليهم والتي سببت لهم سوء التقدير من طرف الآخرين.

أدَّى هذا التحيّز التأكيدي إلى المبالغة في تقدير صحة أفكارهم ونتائجهم إلى أن أصبحوا يعتقدون أن الآخرين يشبهونهم في سلوكهم وقناعاتهم وآرائهم، فكانت كل دراسة تدعم الأخرى حتى تعزز وهم الاتفاق الزائف وأدَّى إلى استقطاب أعداد أخرى كبيرة من الباحثين وحتى عامة الناس إلى الالتفاف حول مفهوم الجندر والاقتناع به دون وعي بخطورته تحت تأثير ضغط التماثل الاجتماعي (social conformity). من عواقب الاتفاق الزائف، انتشار دراسات مُضللة للرأي العام وخنق الأصوات المعارضة لفكرة الجندر واستبعادها من المجتمع العلمي، لنمرَّ إلى مرحلة أخرى، ولعلنا نحن فيها الآن، وهي التفرُّد الزائف ((Valins & Nisbett, 1972 false uniqueness))، بعد أن تتكون مجموعة كانت تشعر أنها مهمشة، فترفض مشاركة

معايير المجتمع وتخلق لنفسها نمط عيش معاكس ومختلف، شعارها: "نحن الأفضل". (we are the better). كما أكدت ذلك نتائج تاباتشنيك وكروكر وألوي (1983) وساندرا ومولين (1983)، الذين قاموا بدراسة حول هذه الظاهرة، وتبيَّن أن الأشخاص الذين يمتلكون سمات غير مرغوب فيها اجتماعيًا هم من يبالغون في استعمال الاتفاق الزائف (Suls, J. and Wan, C.K., 1987)، في حين أن الأشخاص الذين يحملون سمات مرغوبة لا يلجأون إلاَّ نادرا إلى تحيّز الاتفاق الزائف . ويمكن أن يتفاقم هذا التحيّز إلى ظاهرة أكبر وأخطر من ذلك وهي الجهل التعددي (pluralistic ignorance) ويُسمَّى أيضاً بتأثير المُتفرج، كأن يزدري الناس سلوك "المثلي" أو "الشاذ" أو فكرة الجندر بصورة خفية لكنهم يدعمون هذه الأفكار أمام العامة. أثر الجهل التعددي يجعل الناس تفترض بصورة خاطئة أنَّ الأغلبيةً تفكر بصورة مشابهة لها بينما الأغلبية في الواقع لا تفكر بنفس الطريقة ويعبرون بصراحة عن معارضتهم. فيعتاد الناس الشذوذ والأعمال المشينة تحت سطوة العلم، وتحت تأثير الإعلام، وكل البرامج الدعوية التي أعدت للجندر، لتوجيه اللاوعي الجماعي، يجعل الناس لا يحركون ساكنًا لما يدور حولهم، بدون أدنى قلق أو رفض، وهذا ما يُهدد المجتمعات الإنسانية قاطبة. ولكي يتجنب الباحث الوقوع في التحيُّز، عليه بالشفافية والحيادية (Larivée et al., 2019) وقبول آراء المعارضين، ومراقبة أهوائه وأحكامه المسبقة، لأنها تأتي غالبًا من تجاربه الخاصة، ومن ثقافة مجتمعه. إذاً، إنَّ أحد الأسباب الأكثر شيوعًا للأخطاء التي تؤثر في نتائج البحث العلمي وتُضعفُ نزاهته وتجعله أقل مصداقية هو التحيّز وعدم الحياد (دليل البحوث العلمية، 2023). و كل إنسان مطالب أيضًا باليقظة والانتباه، وهي قدرات على الأسرة والمدرسة أن تنميها في الطفل، بتنشئته على الأخلاق الحميدة، وعلى حسِّ النقد وإعمال العقل.

أمَّا في المحور الرابع والأخير، تبين من تقرير أشرف على إعداده الدكتور والطبيب النفسي "بول مك هيو" والطبيب الجراح ماير تحت عنوان: "الغريزة الجنسية والجندر" (2016) أنَّ الهويةَ الجندرية ومجتمع (LGBT) (المثليّات والمثليّين وثنائيّي الجنس)، يعانون من أمراض عقلية ونفسية متعددو، فهم أكثر عرضةً للاكتئاب والتّفكير بالانتحار ومحاولات الانتحار"(Mayer et McHugh, 2016, p. 56). كما قدم مجموعة من الدراسات الحديثة تفند كل الفرضيات القائمة على فطرية الهوية الجندرية أو اكتسابها اجتماعيًا.

الجندر دعوة كاذبة مُزيفة من أصحاب فكر فاسد ونفسيات مريضة ومُشوهة تعتقد أنها على حق، تُغطي نواياها بسلطة العلم وسطوة المال والنفوذ. والعلم الذي لا يقيد بالأخلاق لا يمكن أن يعود بالنفع على البشرية.

حدود البحث:

تُقدِّم الدراسةُ مُلخَّصاً دقيقاً عن الدراسات النقدية الغربية للجندر وتبقى أوجه القصور فيها لغة المقالات التي تمَّت مراجعتها (فأغلبها بالفرنسية والإنجليزية) ومصدرها قواعد البيانات الرقمية التي تمَّ اعتمادها، وهذا ما وضع حدودًا على نتائج الدراسة، التي نأمل أن تدعم نتائج دراسات عربية أخرى وتكون نقطة انطلاق لبحوث مستقبلية عربية وتساعد القارئ على فهم أعمق لنظرية الجندر.

الخاتمة والمقترحات:

في ظلِّ الدراسة الحالية، تقترح الباحثة:

- ضرورة توعية الباحثين وعامة الناس بخطورة نظرية الجندر.
- تسليط الضوء على الدراسات الجندرية والبرامج التي تسعى إلى تطبيقها السياسات العامة والمنظمات الدولية.
- إجراء الدراسة الحالية على الدراسات النقدية العربية بخلفيتها الأخلاقية الإسلامية.
- إجراء الدراسة الحالية على المقالات النقدية للجندر في كل لغات العالم خاصة وإنَّ مشكلة الترجمة تمَّ تجاوزها بفضل البرامج الرقمية.
- توحيد الفكر الإنساني المحافظ والحر والشريف لمواجهة أفكار الجندر.

المراجع

الأجنبية

- Beaubatie, E. (2016). Psychiatres normatifs vs. Trans' subversifs ?Controverse autour des parcours de changement de sexe. Raisons politiques, 62(2), 131-142. Cairn.info. https://doi.org/10.3917/rai.062.0131
- By: Phil Gaetano. (2017, novembre 15). David Reimer and John Money Gender Reassignment Controversy : The John/Joan Case. Arizona State University. School of Life Sciences. Center for Biology and Society. Embryo Project Encyclopedia.,
- Chaperon, S. (2002). Kinsey en France : Les sexualités féminine et masculine en débat. Le Mouvement Social, 198(1), 91-110. https://www.cairn.info/revue-le-mouvement-social-2002-1-page-91.htm
- Chiland, C. (2008). La problématique de l'identité sexuée. Neuropsychiatrie de l'Enfance et de l'Adolescence, 56(6), 328-334. https://doi.org/10.1016/j.neurenf.2008.03.009
- Coorebyter, V. de. (2004). L'espoir maintenant, ou le mythe d'une rupture. Les Temps Modernes, 627(2), 205-227. https://www.cairn.info/revue-les-temps-modernes-2004-2-page-205.htm
- Cornel, T. (2021). Contested Numbers : The failed negotiation of objective statistics in a methodological review of Kinsey et al.'s sex research. History and Philosophy of the Life Sciences. https://www.semanticscholar.org/paper/Contested-Numbers%3A-The-failed-negotiation-of-in-a-Cornel/252da163f77bc86e59fbf421312814e1e98df4e0
- Debelle, François. (2020). Les rapports du très controversé Dr Kinsey (espace collaboratif contre la Pédocriminalité 1.6.2.; Jonas). chrome-extension://efaidnbmnnnibpcajpcglclefindmkaj/https://plateformejonas.fr/

wp-content/uploads/2020/06/1.6.2.-Rapports_du_tres_controverse_Dr_Kinsey_.pdf

- Diamond, M. (1982). Sexual identity, monozygotic twins reared in discordant sex roles and a BBC follow-up. Archives of Sexual Behavior, 11(2), 181-186. https://doi.org/10.1007/BF01541983
- Drescher, J., & Sebag, C. (2017). Destins de l'homosexualité dans le mouvement psychanalytique: Érès, n° 12(2), 29-50. https://doi.org/10.3917/insi.012.0029
- Fassin, É. (2008). L'empire du genre : L'histoire politique ambiguë d'un outil conceptuel. L'Homme, 3-4(187-188), 375-392. https://doi.org/10.4000/lhomme.29322
- Frignet, H. (2007). Fabrication du genre, effacement du sexe : Un court abrégé historique. La revue lacanienne, 4(4), 21. Association de psychanalystes. https://doi.org/10.3917/lrl.074.0021
- Jean-Paul Sartre devant la question juive. (1947). Le Monde Juif, 910(5), 33-37. https://www.cairn.info/revue-le-monde-juif-1947-5-page-33.htm
- Jessen, R. S.,and al. (2021). Navigating in the dark : Meta-synthesis of subjective experiences of gender dysphoria amongst transgender and gender non-conforming youth. Social Science & Medicine, 281, 114094. https://doi.org/10.1016/j.socscimed.2021.114094
- Klinkenberg, M. (2016). Le mauvais genre ? Genre, sexe et société: Les Cahiers Internationaux de Psychologie Sociale, Numéro 110(2), 247-269. https://doi.org/10.3917/cips.110.0247
- La Presse. (2019). Faut-il juger Simone de Beauvoir ? La Presse. https://www.lapresse.ca/societe/2019-05-20/faut-il-juger-simone-de-beauvoir
- Lachenal, P. (2016c). « Le genre est à la mode ». In Questions de genre (p. 35-41). Le Cavalier Bleu; Anthropologie. https://www.cairn.info/questions-

de-genre--9791031800950-p-35.htm

Lachenal, P. (2016d). Le genre est une théorie. In Questions de genre (p. 51-57). Le Cavalier Bleu; Anthropologie. https://www.cairn.info/questions-de-genre--9791031800950-p-51.htm

Lachenal, P. (2016e). « Le genre vient des États-Unis ». Idees recues, 15-26. https://www.cairn.info/questions-de-genre--9791031800950-page-15.htm

Lachenal, P. (2016j). « Seules les sciences sociales s'intéressent au genre ». In Questions de genre (p. 67-74). Le Cavalier Bleu; Anthropologie. https://www.cairn.info/questions-de-genre--9791031800950-p-67.htm

Larivée, S., Sénéchal, C., St-Onge, Z., & Sauvé, M.-R. (2019). Le biais de confirmation en recherche. Revue de psychoéducation, 48(1), 245-263. https://doi.org/10.7202/1060013ar

L'espoir maintenant, ou le mythe d'une rupture | Cairn.info. (s. d.). Consulté 10 décembre 2023, à l'adresse https://www.cairn.info/revue-les-temps-modernes-2004-2-page-205.htm

Macé, É. (2010). Ce que les normes de genre font aux corps / Ce que les corps trans font aux normes de genre. Sociologie, 1(4), 497. https://doi.org/10.3917/socio.004.0497

Marchand, J.-B. (2011). Différence des sexes ou distinction sexe/genre. In Le sexuel, ses différences et ses genres (p. 39-56). EDP Sciences; Psy. https://doi.org/10.3917/edk.chaud.2011.01.0039

Mardam-Bey, Farouk. (2009). Sartre, Israël et les Arabes : La « détermination affective » | Cairn.info. Matériaux pour l'histoire de notre temps, 4(96), 38-41. https://www.cairn.info/revue-materiaux-pour-l-histoire-de-notre-temps-2009-4-page-38.htm

Mayer et McHugh. (2016). La sexuaLité et Le genre Conclusions de la

biologie, la psychologie, et les sciences sociales. A Journal of Technology and Society / The New Atlantis, Numéro 50 ~ Automne 2016, 110. https://www.thenewatlantis.com/docLib/20170413_TNA50SexualityandGenderFR.pdf

Morin, I. (2014). Sexe maudit, réel transcendant. Psychanalyse, 30(2), 7-27. https://doi.org/10.3917/psy.030.0005

Polderman, T. J. C., Kreukels, B. P. C., Irwig, M. S., Beach, L., Chan, Y.-M., Derks, E. M., Esteva, I., Ehrenfeld, J., Heijer, M. D., Posthuma, D., Raynor, L., Tishelman, A., Davis, L. K., & on behalf of the International Gender Diversity Genomics Consortium. (2018). The Biological Contributions to Gender Identity and Gender Diversity : Bringing Data to the Table. Behavior Genetics, 48(2), 95-108. https://doi.org/10.1007/s10519-018-9889-z

Pommier, G. (2020). LGBT... H. À propos de l'extension de la reconnaissance des genres. La clinique lacanienne, 31(1), 9-23. https://doi.org/10.3917/cla.031.0009

Rosenberg, M. I. (2017). Le pouvoir de l'autonomination. Sur la loi argentine d'identité de genre. Cliniques mediterraneennes, 95(1), 123-132. https://www.cairn.info/revue-cliniques-mediterraneennes-2017-1-page-123.htm

Shaheen, S. (2019, décembre 21). نع راوفوب ود نوميسد ءارآ : ةأرما يحبصت نأ يوثنلاأ دسجتلا. Boring Books. https://boringbooks.net/2019/12/simone-de-beauvoir-on-female-embodiment.html

Soh, D. (2020). The end of gender : Debunking the myths about sex and identity in our society (New York, NY : Threshold Editions, an imprint of Simon&Schuster, Inc). First Threshold Editions hardcover edition. https://cmc.marmot.org/Record/.b61665447

Suls, J. and Wan, C.K., W. (1987). In search of the false-uniqueness phenomenon : Fear and estimates of social consensus. Journal of Personality and Social Psychology, 52(1). https://doi.org/10.1037//0022-

3514.52.1.211

- Tahon, M.-B. (2015). Chapitre 4. De la différence des sexes au différend des sexes. In Sociologie des rapports de sexe (p. 95-114). Presses universitaires de Rennes; Anthropologie. https://doi.org/10.4000/books.pur.24327
- Vaulx, S. S. de. (2021, juillet 12). ردنج (عونلا عامتجلاا/يعامتجلاا/ةسونجا/ةسادتسا/سانجتسا/ ردنج) [Billet]. Les carnets de l'Ifpo. https://ifpo.hypotheses.org/11249
- Verlhiac, J.-F. (2000). L'effet de Faux Consensus : Une revue empirique et théorique. L'Année psychologique, 100(1), 141-182. https://doi.org/10.3406/psy.2000.28631

العربية

- الجليدي، مصدق. (2022). مقاربة النوع الاجتماعي ومحاولات إدماجها في مناهج التعليم، قراءة نقدية. أواصر للثقافة والفكر والحوار.
- الدريج، محمد. (2017). نظرية النوع في التربية والتعليم : الأسس والخلفيات والمخاطر. مجلة علوم التربية, 67, ص.8.
- الرفاعي, ل. (2017). « مفاهيم جندرية ».. من ملكية الجسد إلى تطبيع الشذوذ. الجزيرة نت.
- الصفحة الرئيسية الخاصة بموقع الحركة النسوية العربية
- العيسى, د. إ. ع. (août 18 ,2020). ما هي أخلاقيات البحث العلمي ؟. تعليم جدي
- المساهمات النسوية في الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع. /
- تجمّع سوريات من أجل الديمقراطية » الجندر من النسوية إلى ما بعد النسوية (من سيمون دو بوفوار إلى جوديث بتلر)
- خضر، ح. (2019). مفهوم الجندر- دراسة في معناه، ودلالاته، وجذوره، وتياراته الفكريّة. موقع مجلة الاستغراب, 16
- رودجرز، وآخرون, & ترجمة القرني، متعب. (s. d.). جنون الفلاسفة. الفيصل,
- فهدا، ز. (2020). الجندر. مجلة مع الشاب, 9. http://maaalshabab.iicss.iq/?id=188
- فياض, د. ح. ا. (2021) نقد رؤية الفلسفة الوجودية للإنسان والواقع الاجتماعي.. دراسة

تحليلية – نقدية. تبيان.

- محمد, م. ع. س. (2020). الإنسان في الفلسفة الوجودية عرض ونقد. مجلة كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط, 38(1), 63
- يغل وآخرون, & ترجمة القرني.م. الحياة السرية لمفكرين وفلاسفة.. صراعات وجنس وخيالات مازوشية. مجلة الفيصل
- هيئة التحرير. (2023). قراءة في كتاب "قلق الجندر" : الجندر والسلطة .. تمارين في تخريب الهويّات الجاهزة - الكتيبة
- يكيبيديا.(2023(جان بول سارتر—ويكيبيديا
- مقاربات النوع الاجتماعي ونظرية الهوية الجنسية حسب جوديث بتلر. boukultra | شريان المعرفة.